OPEN ACCESS

AL-EHSAN
ISSN: 2410-1834
www.alehsan.gcuf.edu.pk
PP: 123-133

الذكر وأهميته عند الصوفياء

Zikr and Its Importance in the Light of Sufi Thought

Dr. Ghulam Ahmad

Assistant Professor

Department of Arabic & Islamic Studies,

Govt. College University Faisalabad

Abstract

Remembrance of Allah (Zikr-e-Allah) is source of restness and satisfaction of heart and soul of an individual. The Sufis consider Zikr-e-Allah very important for the self-purification and improvement of the society. Because due to this, the man becomes soft in his character and moves to do goodness. Due to this reason all Sufis of different orders of Tasawwuf made it a vital a part in their spiritual life in different times and ways. The basic objective for performing the Zikr-e-Ilahi for all Sufis is to obey and please the Allah Almighty. Due to owing of this goal they always advise their followers and disciples for adoption and absorption themselves in Zikr-e-Allah. In short this research deals with the Zikr and its importance in the light of Sufi thought.

Keywords: Remembrance of Allah, Zikr-e-Allah, Self-purification, Sufi thought

الذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد،ويثمر المعارف والأحوال التى شمر إليها السالكون،فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ،وكلما عظمت تلك الشجرة و رسخ أصلها كان أعظم لثمرتها وفائدتها۔ وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يبنى عليها،كما يُبنى الحائط على أساسه،وكما يقوم السقف على جداره۔وذلک أن العبد إن لم يستيقظ من غفلته لم يمكنه قطع منازل السير الموصلة إلى معرفة الله تعالىٰ التي خُلقِ الإنسان لأ جلها،قال تعالىٰ(وما خلقت

الجن والانس إلا ليعبدون)[۱]۔ولا يستيقظ المر ءُ إلا بالذكر ،فالغفلة نوم القلب أو موته۔

وإن امتثال الصوفية لأمر مولاهم عزوجل بالإكثار من ذكره جعل حياتهم كحياة الملائكة،لاتخطر الدنيا على قلوبهم،ولا تشغلهم عن محبوبهم ،ونسوا أنفسهم بمجالستهم لربهم ،وغابوا عن كل شيء سواه فتواجدوا عندما وجدوا:

ذكر تک،لاانی نسیتک لمحة

وایسر ما فی الذکر ذکر لسانی

يذكر الصوفي ربه في كل احيانه،فيجد ذلك انشراح الصدر،واطمئنان القلب،وسمو الروح؛ لأنه حظي بمجالسة ربه عزوجل۔ أهل ذكرى اهل مجالستی[۲]

فالعارف من داوم على الذكر و أعرض بقلبه عن متع الدنيا الزائلة،فتولاه الله في جميع شؤونه۔ولا عجب،فمن صبر ظفر ،ومن لازم قرع الباب يوشك أن يفتح له۔

معانی کلمة الذکر

أطلقت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كلمة(الذكر)على عدة معان: فتارة قصد بها القرآن الكريم كما في قوله تعالىٰ : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[۳]وتارة قُصد بها صلاة الجمعة:(يا ايها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)[۴]

وفي موطن آخر عنى بها العلم :(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[۵]

وفي معظم النصوص اريد بكلمة(الذكر) التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،وما إلى هنالك من الصيغ،كما في قوله تعالىٰ(فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما و قعودا وعلى جنوبكم)[۶]وقوله تعالىٰ:(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروالله كثيراً)[۷]وقوله تعالىٰ(واذكر اسم ربک وتبتل إليه تبتيلاً)۔[۸]

عن ابي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله عزوجل يقول: أنا مع عبيدى إذا هو ذكرني و تحركت بي شفتاه)[۹]

وعن عبدالله بن بسر أن رجلاً: قال: (يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشي أتشبث به۔قال: (لايزال لسانك، رطباً من ذكر الله)[۱۰]

أما ما يقوله بعضهم: (أن المراد بالذكر هو العلم بالحلال و الحرام) ،فجوابه: (أن لفظ الذكر مشترك بين العلم و الصلاة والقرآن و ذكر الله تعالىٰ، لكن المعتبر في اللفظ المشترك ماغلب استعماله فيه عرفاً، وغيره انما يصرف إليه بقرينة حالية او لفظية، ولفظ الذكر قد غلب استعماله فی ذكر الله حقيقة، ومن غير الغالب أن يطلق ويراد به العلم ،كما قال تعالىٰ: (فاسالوا اهل الذكر) فالمراد به العلم بقرينة السؤال۔

دليله من الكتاب والسنة

من الكتاب:

۱۔ فقد قال تعالىٰ: (فاذكروني أذكركم)[۱۱]

۲۔ وقال تعالىٰ: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)[۱۲]

۳۔ وقال تعالىٰ: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة و أصيلاً)[۱۳]

۴۔ وقال تعالىٰ: (والذّٰكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)[۱۴]

۵۔ وقال تعالىٰ(واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار)[۱۵]

۶۔ وقال عز من قائل: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[۱۶]

۷۔ وقال أيضاً: (واذكر اسم ربك بكرةً واصيلاً)[۱۷]

۸۔ وقال أيضاً: (واذكر اسم ربك، وتبتل اليه تبتيلاً)[۱۸]

۹۔ وقال جل شأنه(ولذكر الله أكبر)[۱۹]

۱۰۔ وقال أيضاً: (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبكم)[۲۰]

۱۱۔ وقال أيضاً:(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)[۲۱]

۱۲۔ وقال أيضاً: (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه)[۲۲]

۱۳۔ وقال أيضاً: (رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله)[۲۳]

۱۴۔ وقال أيضاً: (فی بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)[۲۴]

۱۵۔ وقال ايضاً:(يا أيهاالذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله)[۲۵]

قال ابن عباس رضی الله عنهما: المراد: يذكرون الله فی أدبار الصلوات وغدواً و عشياً وكلما استيقظ من نومه،وكلما غدا أوراح من منزله ذكر الله تعالیٰ[۲۶]

وقال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذّكرات حتی يذكر الله تعالیٰ قائماً وقاعداً و مضطجعاً[۲۷]

وجميع العبادات يشترط لصحتها شروط إلاذكر الله تعالیٰ،فانه يصح بطهارة و غيرها وفی جميع الحالات: فی القيام و القعود۔۔۔ وغيرها۔

ولهذا قال النووي: اجمع العلماء علی جواز الذكر بالقلب و اللسان للمحدث والجنب والحائض و النفساء،وذلک فی التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة علی رسول الله صلی الله عليه وسلم والدعاء ونحو ذلک[۲۸]

فالذكر صقال القلوب،ومفتاح باب النفحات،وسبيل توجه التجليات علی القلوب،وبه ينحصل التخلق،لابغيره۔لذلک فالمريد لايصيبه غم اوهم او حزن إلابسبب غفلته عن ذكر الله،ولو اشتغل بذكر الله لدام فرحه وقرت عينه إذ الذكر مفتاح السرور والفرح،كما ان الغفلة مفتاح الزن والكدر۔[۲۹]

من السنة

۱۔ عن أبي موسی الاشعري رضي الله عنه،قال: قال النبي ﷺ عليه وسلم: مثل الذی يذكر ربه والذی لا يذكر ربه مثل الحی والميت[۳۰]

۲۔ وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر،فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلی حاجتكم ۔قال: فيحفونهم بأجنحتهم الی السماء الدنيا۔قال: فيسالهم ربهم عزوجل۔وهو أعلم بهم۔: مايقول عبادی؟ قال: يقولون: يسبحونک ويكبرونک ويحمدونک ويمجدونک۔قال: فيقول: هل راوني؟ قال : فيقولون،لا والله ماراوک؛ قال : فيقول: وكيف لو ر أوني؟ قال:

يقولون: لو راوک؛ كانوا اشد لک عبادةً واشد لک تمجيداً،واكثر لک تسبيحاً۔قال : يقول: فما يسالونی؟ قال: يقولون: يسالونک الجنة۔قال: يقول: هل راوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ماراوها۔قال: فيقول: فكيف لو انهم راوها؟ قال: يقولون: لوانهم راوها كانوا شد عليها حرصاً،واشد لها طلباً،واعظم فيها رغبة۔ قال: يقول: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار،قال: يقول: وهل ر اوها؟ قال: يقولون: لا والله ماراوها۔ قال : يقول: فكيف لو راوها؟ قال : يقولون: لو راوها كانوا اشد منها فراراً و اشد لها مخافة قال : فيقول: اشهدكم انی قد غفرت لهم۔ قال: يقول ملک من المائكة: فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة۔ قال: يقول : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[۳۱]

ففي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين و فضل الاجتماع على ذلک،وان جليسهم يندرج معهم فی جميع ما يتفضل عليهم ربهم اكراماً لهم؛ وان لم يشاركم في اصل الذكر،وبمجالسته لهم صار سعيداً لأن من جالس جانس؛ ان صحت النية۔

۳۔ وعن انس رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا۔قالوا: يا رسول الله ومارياض الجنة؟ قال حلق الذكر)[۳۲]

۴۔ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليبعثن الله اقواماً يوم القيامة في وجوهم النور،على منابر اللؤلؤ، يغبطم الناس،ليسوا بانبياء ولاشهداء،قال: فجثا اعرابي على ركتبيه فقال:يا رسول الله حلهم[۳۳]

قال: هم المتاحابون في الله من قبائل شتى،وبلاد شتى،يجتمعون على ذكر الله يذكرونه)[۳۴]

۵۔ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله ليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمدان فقال: (سيروا هذ جمدان سبق المفردون۔ قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: المستهترون بذكر

الله.يصنع الذكر الله.يضع الذكر عنهم اثقالهم.فيأتون الله يوم القيامة خفافاً[۳۵]

۶۔ وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم؟ قالوا: بلى.قال: ذكر الله تعالىٰ.فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه: (ماشى ء انجى من عذاب الله من ذكر الله)[۳۶]

۷۔ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:يقول الله تعالىٰ: (انا عند ظن عبدى بى.وانا معه اذا ذكرنى.فان ذكر نى فى نفسه ذكرته فى نفسى.وان ذكرنى فى مالذكرته فى ملا خير منهم.وان تقرب الى شبراً تقربت اليه ذراعاً.وان تقرب الى ذراعتاً تقريب اليه باعاً. وان اتانى يمشى اتيته هروله)۔[۳۷]

۸۔ وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عزوجل يوم القيامة: سيعلم اهل الجمع من اهل الكرم.فقيل: ومن اهل الكرم يا رسول الله؟ قال: اهل مجالس الذكر في المساجد)[۳۸]

۹۔ وعن أنس بن مالک رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عزوجل لا يريدون بذلک الا وجه؛الا ناداهم ماند من السماء ان قوموا مغفوراً لكم فقد بدلت سيئاتكم حسنات)[۳۹]

۱۰۔ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يقول الرب تبارک و تعالىٰ: من شغلهُ قراءة القرآن وذكرى عن مسالتى اعطيه افضل ما اعطى السائلين)[۴۰]

هذا وكل ماورد في فضائل الذكر والاجتماع عليه.والجهر والاسرار به.فهو من ادلة مشروعيته۔

اقوال العلماء بالله في فضل الذكر

عبدالله بن عباس

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهالم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حداً معلوماً.ثم عذر اهلها فى حال العذر.غير الذكر: فانه لم

يجعل له حداً ينتهى اليه،ولم يعذر احداً في تركه الا مغلوباً على عقله وامرهم بذكره فى الاحوال كلها،فقال عز من قائل: (فاذكروالله،قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)[۴۱]

وقال تعالى:(يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)[۴۲]اى بالليل والنهار،وفى البروالبحر،والسفر والحضر،والغنى والفقر،وفى الصحة والسقم،والسر والعلانية،وعلى كل حال)[۴۳]

ابن عطاء الله السكندري

قال سيدي ابن عطاء الله السكندري: (الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق،وقيل: ترديد اسم الله بالقلب و اللسان،او ترديد صفة من صفاته،او حكم من احكامه،او فعل منا فعاله،او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالىٰ)[۴۴]

الامام أبو القاسم القشيري

قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: الذكر منشور الولاية، ومنار الوصلة،وتحقيق الارادة،وعلامة صحة البداية،ودلالة النهاية،فليس وراء الذكر شيئ۔وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشوها عن الذكر)۔

وقال أيضاً: (الذخر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى،بل هو العمدة في هذا الطريق،ولا يصل احد الى الله تعالىٰ الا بدوام الذكر)۔[۴۵]

ابن قيم الجوزية

قال ابن قيم الجوزية(ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدا النحاس والفضة و غيرهما،وجلاؤه بالذكر،فانه يجلوه حتى يدعه كالمرآه البيضاء،فاذا ترك صدى،فاذا ذكر جلاه۔وصدأ القلب بامرين: الغفلة،والذنب؛وجلاؤه بشيئين: بالا ستغفار و الذكر۔فمن اكنت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدامتراكماً على قلبه،وصدؤه بحسب غفلته۔واذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ماهى عليه؛ فير الباطل فى صورة الحق،والحق فى صورة الباطل،لانه لما تراكم عليه الصدا أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هى عليه۔فاذا تراكم عليه الصدا،واسودّ،وركبه الران فسد تصوره و ادراكه فلا يقبل حقاً،ولاينكر باطلاً،وهذا اعظم عقوبات القلب۔واصل ذلك من

الغفلة و اتباع الهوى، فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره۔ قال تعالىٰ: (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً)(۴۶)

فخر الدين الرازي

قال العلامة فخر لدين الرازى فى تفسيره عنده قوله تعالىٰ: (ولله الاسماء الحسنى): (ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله تعالى، والمخلص من عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى، واصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك، فان القلب اذا غفل عن ذكر الله، واقبل على الدنيا وشهواتها وقع فى باب الحرص وزمهرير الحرمان، ولايزال ينتقل من رغبة الى رغبة، ومن طلب الى طلب، ومن ظلمة الى ظلمة، فاذا انفتح على قلبه باب ذكر الله ومعرفة الله تخلص من نيران الآفات، ومن حسرات الخسارات، واستشعر بمعرفة رب الارض والسموات)(۴۷)

أحمد زروق

يقول احمد زروق رحمه الله فى قواعده:(الخواص ثابتة ف الاقوال والافعال والاعيان، وعظمها خواص الاذكار، اذ ما عمل آدمى عملاً انجى له من عذاب الله من ذكر الله، وقد جعلها الله لاشياء كالاشربة والمعاجين فى منافعها: لكل ما يخصه، فلزم مراعاة العام فى العموم، وفى الخاص مما يوافق حال الشخص)(۴۸)

أحمد بن عجيبة

قال أحمد بن عجيبة:(لايكون الفتح على تحقيق العبدبمقام الرضا إلابعد تحققه بثلاثة امور فى بدايته:

۱۔ الاستغراق في الاسم المفرد (الله)و(هذا خاص بالماذونين بذكر الاسم من مرشد كامل)۔

۲۔ صحبته للذاكرين

۳۔ تمسكه بالعمل الصالح الذي لم يتصل به شيء من العلل، وهو التمسك بالشريعة المحمدية)(۴۹)

الخلاصة

إن جميع المربين والمرشدين الكاملين قد نصحوا السالكين فی سيرهم إلى الله وأبانوا لهم ان الطريق العلمی الموصلی الی الله تعالی وإلی رضوانه هو الإكثار من ذكر الله فی جميع الحالات.وصحبةُ الذاكرين.لأن أنفاس الذاكرين تقطع شهوات النفس الأمارة بالسوء۔

المصادر والحواشی

[۱]۔ سورة الذاريات آية۵۶۔قال ابن عباس رضي الله عنها: يعبدون أي: يعرفون

[۲]۔ حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى، ص۲۱۵

[۳]۔ سورة الحجر آية۹

[۴]۔ سورة الجمعة آية ۹

[۵]۔ سورة الأنبياء آية ۷

[۶]۔ سورة النساء آية ۱،۲

[۷]۔ سورة الانفال آية ۴۵

[۸]۔ سورة المزمل آية ۸

[۹]۔ رواه ابن ماجه في كتاب الأدب و ابن حبان في محيحه۔والامام أحمد في مسنده والحاكم كما في فيض القدير ج ۱ص۹،۳

[۱۰]۔ رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال: حديث حسن، حديث رقم ۳۳۷۲

[۱۱]۔ سورة البقرة آية ۱۵۲

[۱۲]۔ سورة آل عمران آية ۱۹۱

[۱۳]۔ سورة الاحزاب آية ۴۲،۴۱

[۱۴]۔ سورة الاحزاب آية ۳۵

[۱۵]۔ سورة آل عمران آية ۴۱

[۱۶]۔ سور الرعد آية ۲۸

[۱۷]۔ سورة الدهر آية ۲۵

[۱۸]۔ سورة المزمل آية ۸

[۱۹]۔ سورة العنكبوت آية ۴۵

[۲۰]۔ سورۃ النساء آیۃ ۱۰۳

[۲۱]۔ سورۃ الجمعۃ آیۃ ۱۰

[۲۲]۔ سورۃ البقرۃ آیۃ ۱۱۴

[۲۳]۔ سورۃ النور آیۃ ۳۷

[۲۴]۔ سورۃ النور آیۃ ۳۶

[۲۵]۔ سور المنافقون آیۃ ۹

[۲۶]۔ الفتوحات الربانیۃ علی الاذکار النوویۃ ۱ ص ۱۔۶، ۱۰۹

[۲۷]۔ الفتوحات الربانیۃ علی الاذکار النوویۃ ج۱ص ۱۰۶ ، ۱۰۹

[۲۸]۔ نفس المرجع

[۲۹]۔ رواہ البخاري في صحیحہ في کتاب الدعوات، رقم الحدیث ۶۴۰۷

[۳۰]۔ رواہ البخاري في صحیحہ في کتاب الدعوات، رقم الحدیث ۶۰۷۱

[۳۱]۔ اخرجہ البخاری في صحیحہ في کتاب الدعوات، رقم الحدیث ۳۵۱۰

[۳۲]۔ حلهم: سفهم لنا وعرفنا نزلهم

[۳۳]۔ رواہ الطبرانی کما فی الترغیب والترهیب، ج۲، ص ۲۶۲

[۳۴]۔ رواہ الطبرانی باسناد حسن کما في الترغیب و الترهیب ج۲ ص ۴۰۶

[۳۵]۔ اخرجہ مسلم في کتاب الذکر والترمذی فی کتاب الدعوات، رقم الحدیث ۲۰۶۳۷

[۳۶]۔ رواہ الترمذی فی کتاب الدعوات، رقم الحدیث ۳۳۷۷

[۳۷]۔ رواہ الترمذی في کتاب الدعاء باب ما جاء فی فضل الذکر۔ورواہ ابن ماجہ فی الادب۔باب فضل الذکر۔والبخاری فی الدعوات، ۶۴۰۷

[۳۸]۔ رواہ احمد و ابو یعلی و ابن حبان فی صحیحہ والبیهقی وغیرهم۔الترغیب و الترهیب ج۲ ص ۴۰۴

[۳۹]۔ رواہ الامام احمد، ورجالہ رجال الصحیح کذ فی مجمع الزوائد ج۱۰ص ۷۶

[۴۰]۔ اخرجہ الترمذی فی کتاب فضائل القرآن ،وقال: حدیث حسن، والدارمی والبیهقی

[۴۱]۔ سورۃ النساء آیۃ ۱۰۳

[۴۲]۔ سورۃ الاحزاب آیۃ ۴۱

[۴۳]۔ نور التحقیق ص ۱۴۷

[۴۴]۔ مفتاح الفلاح ص۴ لابن عطاءاللہ الاسکندری المتوی ۷۰۹ھ۔

[۴۵]۔ الرسالة القشيرية ۱۱۰

[۴۶]۔ الوابل الصيب منا لكلم الطيب لا بن قيم الجوزية المتوفى سنة ۷۵۱ھ ص ۵۲

[۴۷]۔ تفسير الفخر الرازيج۴ص۴۷۲

[۴۸]۔ قواعد التصوف لاحمد زروق ص ۳۷

[۴۹]۔ تجريد شرح الجرومية لا بن عجيبة ص ۲۹